Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه طائفة من قصيدة طويلة لهذا الشاعر استهلها بذكر المرأة تقدمه لها شأن غيره من شعراء الغزوات، ويمكن القول إن ذكر المرأة فى ديباجة شعر الغزوات ينماز بطابع خاص. فالشاعر لا يقف بالديار ولا يبكى فى الدمن ولا يحزن لفراق من فارقته بل إنه فى الأغلب ينهى نفسه عن أن يكون مشغولا بالمرأة عن خوض حومة القتال وهذا ما يناسب المقام الذي يقول الشعر فيه. ومثل هذا من شعراء الغزوات يعد جديدا فى منظور تاريخ الشعر العربى، ولتوضيح ذلك نقول إن هؤلاء الشعراء خرجوا على مألوف غيرهم سلفا وخلفا فذكروا المرأة على نحو خاص فى مقدمات قصائدهم بحيث عدوا المرأة من يشغلهم حبها عن القتال أو أنها تشفق عليهم منه فتصدهم عن الخروج إليه.

ونعود إلى شاعرنا فنراه يصف المعركة التى يصول فيها مع قومه ويجول، ثم يطلق لسانه بهجاء أعدائه فيصفهم بالسفاهة وضعف الرأى ويتحدث عن ضراوة قومه فى القتال وكيف يضعون السيف فى أعدائهم فيجدلونهم الواحد تلو الآخر إلا أنه يريد أن يبرر عجزهم عن غلبتهم بالخندق الذى كان السبب فى أنهم لم يبددوا شملهم ويدهبوا ريحهم وهذا وصف للخندق الذى تحصن به المسلمون وبيان لأنه كان حقا مارد عنهم عادية المغيرين، إنه يريد أن يصف الأعداء بالضعف إلا أنه اضطر أن يصفهم بالقوة، لأن خندقهم هو السبب فى دفع أعدائهم عنهم فهو سلاح لهم وليس لغيرهم وقد غلبوا به وبذلك كأن ضرار ابن الخطاب لم يقل شيئا، بل ربما مدحهم بما تحصنوا به فكان النصر لهم.

فأجابه كعب بن مالك بقصيدة من نفس البحر والقافية، وهو يبدأها بذكرا امرأة يتجه إليها بالخطاب ويقول إنها سألت عن خبرهم في حربهم وتمنى أن تكون رأتهم وهم صبر فى قتالهم وكأنما يفخر بالمحاربين ويرغب إلى تلك المرأة التى ربما كان تخيلها أن تفخر بهم هى الأخرى وهدا مه يؤيد ما سلف أن ذهبنا إليه فى ذكر المرأة فى مطلع قصائد الغزوات على أنه خاص بهذا السفر ومختلف عنه فى شعر يقال فى أغراض أخرى يقول كعب:

صبرنا لا نرى لله عدلا ... على ما نابنا متوكلينا

وكان لنا النبى وزير صدق ... به نعلو البرية أجمعينا

ترانا فى فضافض سابغات ... كعدران الملا متسربلينا

وفى أيمانا بيض خفاف ... بها نشفى مراح الشاغبينا